كايات كليلة ودمنة

4

محاكمة دمنة

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : عبد الشافي سيد
إشراف : حمدي مصطفى

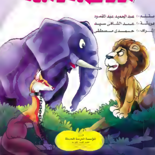

المؤسسة العربية الحديثة

عقدتْ هيْئةُ المَحْكمة ـ الّتى أمر الأسدُ بتشْكيلِها ـ جلْستَها لمُحاكمة (دمْنَة) متَّهمة السّعْى بالكذِب والنّميمةِ، والّتى نتج عنْها قتْلُ الثّوْر (شتْربة) دُونَ ذنْبٍ أوْ جنايةٍ ارْتكبها.

واعْلن القاضى للْحاضِرين أنّ منْ لديْه أقوالٌ تُبرّئُ أوْ تُدينُ (دمْنة) من التُّهمِ المنْسُوبة إليْه، فإنّ عليْهِ التّقدُّمَ بها لهيْئة المحكمة.

فنهض الخنْزيرُ وقال:

ـ أنا لدىّ ما أُحبُّ أنْ أُدْلى به، بخُصُوص ذلك المُجْرمِ الْواقف فى قفص الاتّهام.

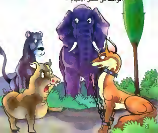

فنظرَ إليه (دمنة) في احتقارٍ، وقال مُتجاهلاً إيَّاه:

- منْ أنتَ حتَّى تحضُرَ إلى قاعة هذه المحكمة المُحترمة وتُدلي بأقوالك ؟!

فظهرَ الغيظُ على وجه الخنزير، وقال في اعتزازٍ:

- أنَا كبيرُ الخنازيرِ وسيِّدُها، ولي من المنْزلة عنْد الأسد ما لا يُمكن أنْ تُنكرهُ أوْ يُنكرهُ أحدٌ

فقال القاضي:

- هلْ لديك من الأقوال ما يُدينُ أوْ يُبرّئُ المُتَّهم (دمْنة) ؟!

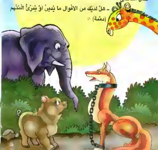

وقال الخنْزيرُ

- إنْ أهْل الصّلاح والتّقْوى يُعْرفُون بيْن النّاس سيماهُمْ وصُوَرُ وُجُوههمْ ، والّتي تُميّزُهُمْ عنِ الأشْقياءِ والمُجْرمين

فقال القاضي :

- هذا صحيحٌ

وأشار الخنْزيرُ إلى (دمْنة) قائلاً :

- وهذا المُجْرمُ الماثلُ أمامكُمْ تُوجدُ علاماتٌ وسماتٌ
واضحةٌ جليّةٌ في وجْهه ، تدلُّ على ما به
منْ نزْعة شرّيرةٍ حاقدةٍ ، فابحثُوا
عنْ هذه العلاماتِ تجدُوها
واضحةً كالشّمْس

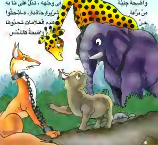

فالْتفتَ الحاضِرُون كُلُّهُمْ إلى (دمْنة) ، وراحُوا يُحدِّقُون في وجْهه وأجْزاءِ جِسْمه ، وخفض (دمْنةُ) بصرهُ إلى الأرْض في خجل ، بيْنما اتّجه القاضي إلى الخنْزير قائلاً :

- أعْلمُ ويعْلمُ الْجميعُ في هذه الْقاعة أنك يا سيِّد الخنازير خبيرٌ في تعرُّف صفات الأشْخاص منْ علامات وسِمات وُجُوههمْ وصُورهمْ ، ولذلك فأنا أرْجُوك أنْ تُطْلعنا على ما تراهُ في وجْه ذلك الشّقيّ منْ علامات السُّوء والإجْرام .

فقال الخنْزيرُ :

- إنّ منْ كانتْ عيْنُهُ الْيُسْرى أصْغر منْ عيْنه الْيُمْنى ، وهي لا تزالُ ترْتعشُ باستمْرار ، وكان أنْفُهُ مائلاً إلى جانبه الأيْمن ، فهُو شقيٌّ خبيثٌ وحاقدٌ كذّابٌ .

فتضايق (دِمْنَةُ) مِنْ هذا الذَّمِّ المُوجَّه إِلَيْه مِن الخنْزِير ، ولَمْ يَمْلِكْ نفْسَهُ مِن الغضب ، فقال :

- يكْفي هذا القَدْرُ من التَّطاوُل وذم الأبرياء أيُّها الخنْزِيرُ القَذِرُ لقدْ عجبْتُ منْ جُرْأتك على الحديث عن العلامات والسِّمات ، وأنْت علاماتُ وجْهك تفْضحُ قُبْحك وقذارة جسدك .. تتكلَّمُ عنْ عُيُوب غيْرك وتنْسى عُيُوبك التى يعْرفُها الجميعُ .. إنَّ عُيُوبك تدلُّ على أنك أجْدرُ الحاضرين بأنْ تكُون مُجْرِمًا عتيدًا فى الإجْرام ..

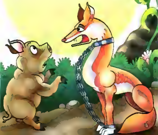

فقال الخَنْزيرُ غاضبًا :

ـ أتوجِّه إلَيَّ هذا الكلام ؟!

فقال (دمْنة) :

ـ ومنْ غيْرك أقْصِدُ ؟! لقدْ منعني عنْ فضْح عُيُوبك ما كانَ بيْننا منْ مودةٍ وصداقةٍ في الماضي .. أمَّا الآنَ وقدْ تجرأْت عليَّ وقُلْت في حقي ما قُلْت ، فلنْ يمْنعني شيْءٌ أنْ أفْضح ألاعيبكَ ، التي تُريدُ أنْ تتقرَّب بها إلى الأسد ، وأنْ أُوضِّح للحاضرينَ ما فيكَ منْ عُيُوب ظاهرةٍ ، وعلامات لا يُمْكنُ أنْ تُخْطئها عيْنٌ ..

وقال الخنْزيرُ :

ـ وماذا ترى فيَّ منْ عُيُوب إذن يا خبير الوُجُوه والصُّوَر ؟!

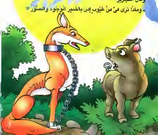

فأطلق (دِمْنَةُ) ضحكةً شريرةً ، ثُمّ قال

ـ ألمْ يُخبِرك أحدٌ قبلي أنكَ أعرجُ الساقين ، مُعوجُ الرِّجْلين ، مفتوحُ البطنِ ، مشقوقُ الشفتين ، سيئُ المنظرِ والمخبرِ ؟!

متغيِّر وجهُ الخنزير ، وأطرق بوجْهِهِ إلى الأرضِ فى خجلٍ ، ثُمَّ راح يبكى نادمًا على أنهُ تسرَّع وقال ما قالهُ فى حقّ (دمْنة)

ولمّا رأى (دمْـنةُ) ذُلَّهُ وانْكسارهُ ، وهزيمتهُ واندحارهُ ، قال فى شماتةٍ :

ـ ينْبغى أنْ يطُول بُكاؤُك ، حتَّى تعرف قدْرك ، فلا تتطاولْ بعْدها على الأثرياء الشُّرفاء أمثالى .

واستمرّتْ إجْراءاتُ المُحاكمةِ حتّى وقْتٍ متأخّرٍ من ذلك اليوْمِ ، ثُمّ أمر القاضى بأنْ يُعاد (دمْنةُ) إلى السِّجْنِ ، فقادهُ الجُنْدُ إلى هناك .

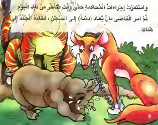

وفى تلك الأثناء حزن (كليلة) على أخيه (دمنة) وما جرَّهُ على نفسه من المصاعب والمتاعب ، وتسبب حزنُهُ فى مرضه مرضًا شديدًا . ثُمَّ مات

وكانَ لـ (كليلة) صديقٌ عزيزٌ يُدعى (روزبة) ، فلمَّا علم بوفاةِ (كليلة) انطلق إلى أخيه (دمنة) فى السِّجنِ ، وأخبرهُ بما حدث .

فبكى (دمنةُ) بُكاءً حارًا على فقد أخيه ، وقالَ :

- ما قيمةُ الحياة بعدك ، وماذا أفعلُ فى الدُّنيا بعدك يا أخى

وطيَّب (روزبةُ) خاطرهُ قائلاً :

- إذا كانَ أخُوك قدْ مات ، فاعتبرْنى أخًا لك منْ بعده يا (دمنةُ) .

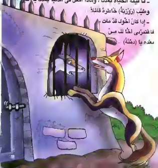

وكان (روزبة) هو أيضا من أبناء آوى مثل (كليلة) و(دمنة) فنظر إليه (دمنة) قائلاً:

- الحمدُ لله الذي أبقى لي أخًا كريمًا مثلك منْ ذوي قرابتي، حتى يُخفِّفَ عنّي مُصابي في موْت أخي

فقال (روزبةُ)

- لا تحملْ همًا في هذه الحياة، ما دُمْتُ أنا مَوْجُودًا بجوارك يا أخي، واعْلمْ أنّني منْ خدَمِ الأسد المُخْلصين..

فقال (دِمْنةُ)

- اذهبْ إلى داري ودار أخي الرّاحل، فستجدُ صُندوقًا مليئًا بالأموال هُو كلُّ ما ادّخرْناهُ.

فلمّا نفّذ (روزبة) ما أمرَهُ بِه (دمنةُ) ، وأحضرَ لهُ صُندوقَ الأموالِ قسمَها (دمنةُ) نصفَيْن ، وأعطى (روزبة) نصفَها بينَما احتفَظَ لنفسِه بالنِّصفِ الآخرِ .. ثمَّ قال ..

- كُلُّ ما أُريدُهُ مِنْكَ هُوَ أنْ تتتبَّعَ لِي أخبارَ الأسد ، وكلَّ ما ينقلُهُ إليْه خُصُومِي في حَقِّي ، خَاصَّةً أُمَّ الأسدِ والقاضِي ؛ لأنِّي أشعُرُ أنَّهُما جادَّانِ في إدانتِي ولفِّ حَبْلِ المِشْنَقةِ حولَ رقبتِي ، انتقامًا لِلثَّوْرِ .

فقال (روزبةُ)

- سأتيك بِأخبارِهِمْ جميعًا أوَّلاً بأوَّلٍ .

* * *

وفي اليومِ التَّالي حضر الْجُنْدُ إلى السِّجْنِ ، وقادُوا (دمنة) إلى قاعة المحْكمة ، فأدخلوهُ في القفص مكبَّلاً بِالأغلالِ .

وبدأ القاضي جلْسة المُحاكمة قائلاً :

- لقدْ فحصْنا أمْرك أكْثرَ مِمَّا ينْبَغي يا (دِمْنةُ) ، ولقَدْ أجْمع الْحاضرُون في هذِهِ الْقاعة على شناعة جُرْمِك ، واستِحقاقك الْعقابَ موْتًا على ذلِك

فقال (دمنةُ) :

- أراك لمْ تتعوَّدْ العدلَ في قضائك أيُّها القاضي ، كيفَ تحكمُ بقتْلي ، وأنا لمْ أُعْطَ الفُرْصةَ للدِّفاعِ عنْ نفْسي ؟!

إنك تُصدرُ هذا الحُكْمَ تبعًا لهواك ، وليْس إحقاقًا للحقِّ وإرساءً للعدْل

فقال القاضي :

- إنَّ عمَل القاضي هُو أنْ يُجازيَ المُحْسن بإحْسانه ، والمُسيء بإساءته . ومنْ رأْيي يا (دمْنةُ) أنْ تعْترفَ بذنْبك وتنْدمَ عليْه ، وتتُوبَ منْهُ .. هذا هُو ظنِّي وما أعْتقدُهُ .

فقال (دمْنةُ) مُستنْكرًا :

- إنَّ القاضيَ العادلَ لا يحكُمُ بالظنِّ ، لأنَّ الظنَّ لا يُغْني من الحقِّ شيْئًا . وأنا أعْلمُ منْكُمْ ببراءتي .. كيْفَ تُريدُ منِّي أيُّها القاضي أنْ أعْترفَ بذنْبٍ لمْ أرْتكبْهُ ، حتَّى أُدينَ نفْسي وأُرْضيكُمْ ؟!

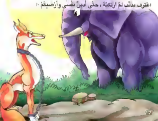

فقال القاضي

- لقدْ نصحْتُك ، حتَّى أُوفِّرَ عليك وعلينا التَّعب والجِدال الذي لا فائدة منْهُ ، ولا طائل منْ ورائه

فقال (دمْنةُ) مُستخفًا

- إنْ كانتْ منْك نصيحةً ، فقدْ أخطأتَ الشَّخْص الَّذي يجبُ أنْ تُوجِّهها إليْه ، وإنْ كانتْ منْك خديعةً ، حتَّى تدْفعني إلى الاعْتراف بجُرْمٍ لمْ أرْتكبْهُ ، فإنَّ هذا لا يليقُ بالْقاضي الْعادل .. وأنا أظُنُّك لسْت عادلاً

فلمَّا سمع الْقاضي منْ (دمْنة) هذا الْكلام ، ورأى تطاوُلهُ عليْه ، واتِّهامهُ لهُ بالظُّلْم والْجوْر ، رفع الْجلْسة ، واتَّجه منْ فوْره إلى الأسد ، فقصَّ عليْه ما حدث منْ تطاوُل (دمْنةَ) عليْه ووصْفه لهُ بما لا يجُوزُ

استدعى الأسدُ أمَّهُ وقالَ لها : إنَّ (دمنة) مُصرٌّ على براءتِه ، وينكرُ الاعترافَ بجُرْمِه ، فغضبتْ أمُّ الأسد غضبًا شديدًا وقالتْ :

- لقد صار اهتمامي بما أتخوَّفُ من احتيال (دمنة) عليك بمكره ودهائه ، حتى يقتُلك ، أكبر من اهتمامي بما سبق من جُرْمه ، حين وشى بصديقك حتى قتلتَهُ بغير ذنب

فقال الأسدُ :

- إذن أخبريني عن الذي تعلمينَهُ من أمر ذلك الشخص ، الذي أخبرك بما قالهُ (دمنةُ) حتى يكون شاهدًا على (دمنة) في هذه القضيّة ، فيكون سندًا للقاضي في إصدار حُكْمه بإدانة (دمنة)

فقالتْ أمُّ الأسد :

- إنّي أكرهُ إفْشاء سرٍّ ائْتمنني عليْه شخْصٌ ما ، لأنّ أمانتي لنْ تسْمح بذلك . ولكنّي سأُرْسِلُ لذلك الشّخْص ، الذي أوْدعني سرّهُ ، وأطْلُبُ منْهُ أنْ يتقدّم بالشّهادة طائعًا مُخْتارًا .

وأرْسلتْ إلى النّمر - وهُو الّذي أخْبرها بما دار بيْن (دمْنة) وأخيه (كليلة) - فلمّا حضر النّمرُ ، ذكرتْ لهُ ما يجبُ عليْه منْ مُعاونة الأسد على إظْهار الحقّ ، وكشْف الجاني ، ونُصْرة المظْلوم .

ولمْ تزلْ تُحرّضُ النّمر على ذلك ، حتّى اقْتنع وأخْبرها بأنّهُ سوْف يُدْلي بشهادته راضيًا ، وأنّهُ يسُرّهُ أنْ يُشاركَ في إظْهار الحقّ ، ودحْر الظّلْم .

واتّجه النّمرُ فوْرًا فدخل على الأسد ، وقصّ عليْه ما سمعهُ منْ اعْتراف (دمْنة) لأخيه (كليلة) بأنّهُ سعى بالْكذب والنّميمة بيْن الأسد والثّوْر ، حتّى قضى على الثّوْر بدُون ذنْب .

وعلم الفهدُ الذى سمع المُحاورة بين (دمنة) وأخيه (كليلة) فى السجن بأنَّ هُناك شاهدًا آخر ، فتوجّه إلى الأسد ، وأخبرهُ بما سمعهُ ، فأصبح هُناك شاهدان ضدُّ (دمنة) .

وقال لهُما الأسدُ مُتعجبًا

- ما منعكُما من الإدلاء بشهادتيكُما مُنذُ البداية ؟

فقال كُلٌّ منهُما

- قدْ علمْتُ أنَّ شهادة شخصٍ واحدٍ لا تكفى لإدانة (دمنة) وأصدر القاضى حُكمهُ على (دمنة) بالقتل جزاءً على أنّهُ كان السّبب بكذبه ووشايته فى قتل (شتربة)

ونُفّذ الحُكمُ عليه فى الميدان الكبير ، حتّى يكون عبرةً لمن تُسوّل لهُ نفسهُ أن يسْعى بين الأصدقاء بالكذب والخداع ، حتّى يُفرّق بينهُما من أجل مصلحته الشّخصية .

(تمت)

الكتابُ القادم
الأسد والأرنب